معزوفة على لحن الحجر

حسن فتح الباب

تجولتَ في الأرض تُذْكى رماد البقاء
وعُدت ولمَّا تَعُد
فما أقرب النار مما جنيت
وما أبعد النار مما حلمت
فقم هيىء المصطلَى للشتاء
وقاتله بالأرق المستبد
أفق لا تنم إن عش الحمام
يثير اشتهاء الأفاعي
ويوقظ ليل الشقاء

* * *

يقول المغنون صوتك نبض اليباب
وومض السراب
وحرفك رهن الشجَى والضجر
ترحلتَ ظمآن والنبع أدنى اليدين
تناءيتَ لا الأرض فوق المدار
فتدنو ولا الأفْق يعلوك حتى تقر
ولا أنت تغضى البصر
وعنوانك الفُلْك تحت البحار
فكيف انتظارك للراحلين؟
وكيف انتصارك للقادمين؟

* * *

لماذا تحوّلت عنهم
ولما أقاموا عليك حصار الأَحِبَّة
وعَدت ولمَّا تَعِد؟
لماذا تجولت في الأرض عشرا
وعُدتَ ولما تَعُد؟

* * *

تقول النوارس: يهوي شراع
ونبقى لنحدو الشراع الوليد
ونبحر في غدنا لا السُّحُب
ولا الزبد المشرئب
تغلل روح الشعاع
ولا الشُّهْب تطفىء وجه القمر

* * *

فلا تبك أحبابك الغائبين
ولا تطع الطغمة الراكعين
تموت السبايا ويحيى الحجر

القاهرة